

محاضرات في مقياس النص الأدبي القديم

قسم النشر

- اسم الأستاذة: د / رشيدة كلاع

- المقياس: نص أدبي قديم (قسم النشر)

- السنة: أولى ليسانس

- التخصص: /

- النوع: محاضرة

- الفوج: المجموعة الأولى

حكايات ألف ليلة وليلة

يشتمل السرد على مجموعة من الأحداث قد تكون حقيقية أو متخيلة، يقدمها سارد أو أكثر إلى مسرود له/متلقي أو أكثر كما يشتمل على شخصيات قد تكون رئيسية أو ثانوية. وقد ظهر اهتمام النقد المعاصر بالسرد والسرديات.

1- التعريف بكتاب ألف ليلة وليلة :

طبع كتاب ألف ليلة وليلة بالغة العربية في ألمانيا سنة 1825 في ثمانية أجزاء ثم أعيد طبعه عدة مرات. تقول الحكاية " أن الملك شهریار بعد اكتشافه خيانة زوجته. لم يكتف بقتلها بل صار كل ليلة يتزوج فتاة بكرًا، لكنه في الأخير لا يحتفظ بها، بل يقتلها لكي يذوق مرارة الخيانة مرة ثانية، لكن شهرزاد ابنة الوزير طلبت من أبيها أن يقدمها لشهریار فتزوج منه قائلة له: "فإما أن أعيش، وإما أن أكون فداءً لبنات المسلمين وسببا لخلاصهن". كانت شهرزاد توجل ميعاد موتها بالحكاية تلو الحكاية إلى أن عزف عن قتلها.

كتاب ألف ليلة وليلة " هو مجموعة من القصص المتفرقة، كان المقصود منها تسلية العامة سمعا، لتدوّن فيما بعد بين دفتي كتاب.

لا يمكن الحديث عن نسخة أولى لكتاب ألف ليلة وليلة، باعتبار أن "الذي بين أيدينا هو نسخ لهذا الكتاب أكثرها ناقص و أقلها كامل، وهي تختلف اختلافا ظاهرا من حيث ترتيب القصص وعددها، ووجود البعض في نسخ دون سائرها"¹. لعل هذا ما يؤكد الإضافات التي لحقت بهذا الكتاب عبر العصور ، فما تضمنه من قصص لا تعود كلها إلى الفترة ذاتها.

يأتي أول ذكر لكتاب "ألف ليلة وليلة" في كتاب "مروج الذهب" للمسعودي (ت456 هـ) حيث يقول: "وقد ذكر من الناس ممن له معرفة بأخبارهم، أن هذه أخبار موضوعة" من خرافات مصنوعة نظمها من تقرب للملوك بروايتها، وصال على أهل عصره بحفظها، والمذاكرة بها. وإن سبيلها سبيل الكتب المنقولة إلينا والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية، وسبيل تأليفها مما ذكرنا مثل كتاب: هزاز أفسانه، وتفسير ذلك من الفارسية إلى العربية ألف خرافة، والخرافة في الفارسية يقال لها: أفسانه. والناس يسمون هذا الكتاب "ألف ليلة و ليلة". وهو خبر الملك والوزير وابنته وجاريتها وهما: شهرزاد ودنيا زاد. وكتاب فرزة وسيماس، وما فيه من أخبار ملوك الهند والوزراء"². ما

نفهمه من هذا القول هو أن الحكاية في هذا الكتاب لم تكن مقسمة إلى "ألف ليلة و ليلة" وإنما وضع هذا التقسيم في العصور المتأخرة. لعل الرغبة في إكمال عدد الليالي هو ما يبرز زيادات كثيرة أدخلت على الكتاب.

2- أصل الكتاب: اختلفت الآراء حول مؤلف كتاب ألف ليلة وليلة، فنسب تارة إلى مجهول، وأخرى إلى جماعة، وكذا زمن تأليفه. كما تباينت الآراء حول أصوله بين الهندية والفارسية والعربية. وكان لكل فئة منهم أدلتهم التي استندوا إليها، أستند القائلون بأصول العربية إلى أن العرب قد اشتهروا بالقص منذ القدم، باعتبار أن "قصص العرب من مفاخر، نضج به طبعها، وأبدعه خيالها... ونقلها الأعاجم. ولم يجمع كتاب من قصصها وحكاياتها وأمثالها ما جمعه هذا الكتاب"¹. في وقت يدافع أصحاب الرأي القائل بأصلها الهندي عن مذهبهم، مستندين إلى أن الفن السائد في قصصها يحمل ملامح هندية: إذ "يمزج حكاية بأخرى ثم يمزجها معا في حكاية ثالثة، وفي أسلوبها الذي يتوقف بالحكاية مرة ثم يصلها مرة أخرى... وفي قصة الملك الذي ساءت خيانة زوجية"²، يضاف إلى هذا التداخل بين قصص ألف ليلة وليلة، فإن الحيلة التي لجأت إليها "شهرزاد" لإلهاء الملك بالحكي حتى لا يقتلها قد رأوها مستوحاة من الأدب الهندي. أما القائلين بأصلها الفارسي (ماكدونالد) فقد اعتبروا الكتاب ترجمة لكتاب "هزار أفسان" الفارسي، مع إضافة بعض الحكايات الأخرى.

في وقت نجد رأيا قائلًا بمساهمة كل من العرب والهنود والفرس في وضع هذا الكتاب، معتبرين الكتاب مزيجًا من حكايات مختلفة تعرضت لعملية حذف وإضافة مستمرة. فالليالي "قد جمعت على استمرار تداولها الحكايات التي اشتهرت في كل عصر، والتي استطاعت أن تفرض نفسها على التجمع القصصي الكبير"³ لعل هذا ما يبرر تعدد أصول الكتاب عبر عصور زمنية وقوميات مختلفة.

- خصائص السرد في ألف ليلة وليلة :

تميز السرد في كتاب الليالي بجملة من الخصائص منها:

1/توالد السرد: هو توالد يتحقق عن طريق التسلسل، واحتواء كل حكاية على حكاية أخرى هي نفسها تحتوي على ثلاثة وهكذا. فهي بذلك تعد " الحيلة البلاغية لتوالد الصور الحكائية وتفرعها في متن الليالي، وهي المبدأ المبرر والمنظم في آن لتوالي الحوافز والمثيرات السردية"⁴، كأن كل قصة تتضمن قصة أخرى، وفي كل مرة تظهر شخصية جديدة في السرد تستدعي حكاية جديدة، يتم تضمينها مع الحكاية السابقة.

2/ المعنى التكراري: المقصود به المعاني المتكررة لشخص، أو لشيء ما، تبدو غير مهمة في ظهورها الأول في الحكاية لتؤكد أهميتها عند مصادفتها في حكاية أخرى .

3/تنظيم الأحداث: هي الطريقة التي تنظم بها الأحداث والأفعال والحركات المكونة للحكاية، إذ يزيد الترتيب المحكم من جمالية الحكاية. ويجعل المتلقي في شغف وترقب الأحداث؛ حيث يسهم توالد السرد بشكل منتظم في إقناع المتلقي بمنطقية الأحداث المسرودة.

4/عنصر الخيال: يتضح هذا العنصر بشكل جلي عند وصف السارد للشخصيات، أو في تقديمه للحوار بطريقة تجعل المتلقي يستحضر الحدث في ذهنه. وقد استطاعت شهرزاد أن تستبدل لعبة القتل بلعبة السرد وتخيل الصور.

5/ الحضور الجماعي: يلجأ الراوي إلى المبالغة في الوصف، مما يجعل السرد ينتقل من حال إلى حال. فالتأمل "لألف ليلة وليلة" يدرك مدى ارتفاع درجات التعجب وتفاوتها فيها. فقد استطاع الكاتب أن يجذب القارئ إلى عوالمها التي تدهشه حيناً، وتحيرُه وتخلخل إدراكه حيناً آخرًا. مما أكسب حكاياتها حلّة عجائبية وقد يتداخل الغريب والعجيب فيها حتى مع الشخصيات ذات المرجعية التاريخية. قد يكون العجيب خاتماً مسحوراً، أو حتى مصباحاً عجبياً... يكسبه الكاتب صفات غير معلومة تبقّيها الحكايات سرا.

6/ فعل الحكيم: يعكف أسلوب الحكيم في الليالي على إبراز كيف تغير الحكاية حياة شخصياتها، وذلك من خلال طريقة تشكيل فعل الحكيم فيها، إذ لا ينشغل الراوي فيها بالرواية المحكية فقط، بل يتجاوزها إلى التي تليها. من ثم وجدنا في الليالي راويين للأحداث هما:

أ- **راوي الليالي:** الذي يحكي لنا ويعرفنا من هما شهريار وشهرزاد.

ب- **شهرزاد:** هي التي تحكي الليالي وأحياناً تنوب عنها واحدة من الشخصيات في بعض الحكايات.

وقد ساهم أسلوب الحكيم العجيب/الغريب في تغيير مجرى حياة "شهرزاد"، إذ أنساه ما تعرّض له من خيانة. وكشف أمامه عوالم جديدة للحقيقة .

7/ الخرافة: تبدو الحكايات في الليالي بسيطة التركيب، قليلة الشخصيات؛ حيث تميزت حكاية الخرافة بـ:

- وجود مستويين من الرواية مما يجعل فعل الحكيم غير مترابط في بعض الأحيان.
- اعتمادها على ثنائية (المتكلم /السامع)، التي تحيل على (الراوي /المروي له) وهي الأساس الذي تتشكل من الحكايات.
- يظهر البطل الخرافي في الليالي من أصل نبيل، يقوم بأفعال بطولية تزيد من ارتفاع مقامه بين الناس. كما كشفت الليالي عن "تراث قصصي حافل بالمغامرات والعجائب. ذي فضاء خرافي أو سحري استطاع داخل عباءته العجائبية أن يؤسس لنفسه فضاء غريباً له جاذبيته وحجمه وفنيته"¹. بذلك يمكن القول: إن الحكايات في الليالي قد قسمت إلى الشكل التالي:

1- حكاية المفتوح: هي حكاية الملك "شهريار" وما مر به من أحداث؛ اكتشافه لخيانة زوجته الأولى حتى نهاية الليالي.

2- حكاية الإيثار: هي الحكايات التي تقصّها شهرزاد على شهريار، لمحوّ مرارة الخيانة لديه.

3- حكايات تضمينية: هي حكايات ذات صلة بحكايات الإيثار، من الناحية الفنية والمضمونية.

كما أسهم عنصر الثنائيات الذي قامت عليه حكايات "ألف ليلة وليلة" من (خير وشر، أفراح وأحزان، خداع وتسامح...)، المتوزّع في أماكن عدة من الليالي في انفتاحها على العديد من التناقضات التي طبعت الأحداث وجعلت الشخصيات في حوار حيناً وصراع حيناً آخرًا .

الحكاية على لسان الحيوان

كليلة ودمنة

نشأت الحكايات على لسان الحيوان نشأة فطرية في الأدب الشعبي قبل أن ترتقي إلى المكانة الأدبية والفنية. تنوّعت أشكال الحكاية على لسان الحيوان في الأدب شعرا ونثرا، ويرجح تاريخ الأدب نشأة الحكاية إلى اليونانيين القدماء؛ حيث شاع هذا اللون من الحكايا أيام أرسطو. كما وجد لدى الهنود إنتاجا أدبيا في هذا المجال. ولقدماء المصريين حكايات تعود إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد.

1- أدب الحكاية في آداب العرب والغرب:

وجد أدب الحكايات على لسان الحيوانات عند العرب في الأمثال العربية القديمة التي تعددت المناسبات التي قيلت فيها، مما يشير إلى معرفة العرب بالحكايات على ألسنة الطير والحيوان. كما نجد حوارات بين الإنسان والحيوان، أو الإنسان والطير عند قراءتنا لمناسبات هذه الأمثال.

يقودنا الحديث عن أدب الحكايات على لسان الحيوان عند العرب مباشرة إلى كتاب "كليلة ودمنة" الذي ظهر تأثيره فيما أنتج على شاكلته من بعده والذي عزّبه الكاتب العباسي عبد الله بن المقفع في منتصف القرن الثامن ميلادي. وهناك من يقول إن حكايات كليلة ودمنة "لسيت حكايات فارسية الأصل فقط، بل إنها تضم حكايات من بلاد الهند والصين واليونان ومصر وبلاد العرب أيضا، أي أنها حصاد لبعض ما روي على ألسنة الطير والحيوان في العالم كله. فهذه النوعية من الحكايات المحبّبة عند العرب والناس جميعا من السهل أن تنتقل من مكان إلى آخر يحكيها الناس ويستمعون إليها" كما أن ابن المقفع عند تعريبه للكتاب أضاف إليه حكايات لم تكن موجودة في الأصل. فجاء تأثير هذا الكتاب عميقا بما ضمّه من حكايات عالمية حُبب إلى الكثيرين من بعده تقليده.

من الكتب التي ألّفت بعد كليلة ودمنة كتاب علي بن داوود بعنوان النمر والثعلب. كما وجد من أعاد صياغة كليلة ودمنة شعرا. ومن المتأثرين أيضا بكتاب كليلة ودمنة ابن حرب شاه أحمد ومحمد بن عبد الله (ت 884هـ)، الذي ألّف كتابه "فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء" على لسان الحيوان. كما أن في "رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا" قصة للإنسان والحيوان أمام محكمة الجان. لا تخلوا من لون الحكايات على منوال كليلة ودمنة.

بعد كل هذا التأثير لكليلة ودمنة على الإنتاج العربي، بدأت ترجمته إلى لغات كثيرة غير العربية منها اللغة الفرنسية. ما سمح بتأثر الكتاب على الفرنسيين بهذا الأدب منهم الكاتب الفرنسي لافونتين، الذي ألف القصص الخرافية والنوادر والحكايات.

حدد الدارسون أربعة مصادر رئيسية لحكايات الحيوان في الأدب الأوربي وهي: المجموعة الخرافية الأوربية الهندية، وحكايات هوراس، وخرافات آي سوبس، وحكايات فينروس.

كما ترجمت الآداب اللاتينية واليونانية أيضا، والذي ساهم في التأثير في لافونتين الذي كان حريصا على التشابه بين الأشخاص الخيالية والأشخاص الحقيقية في سياق الحكاية. اختار الكاتب صفات أشخاصه الأولى بحيث تثير في ذهن القارئ الشخصيات الثانية، فلا يطيل وصف الشخصيات الرمزية من الحيوانات وغيرها حتى يُنسي القارئ مقالات الشخصيات المرموز إليها من الناس للتأثير فنيا في المتلقي. فجعل من تلك الشخصيات الرمزية ستارا لتقديم تلك الشخصيات.

تأثر أحمد شوقي بأعمال لافونتين خصوصا في الخصائص الفنية للحكايات، ألفها شوقي في مدة وجيزة بين عامي 1892م - 1893م، أثناء إقامته بباريس لدراسة الحقوق والآداب، وقد ضمت الشوقيات 55 حكاية أكثر ينتمي إلى الأرجوزة، وأغلبها متنوع القافية.

يجلو لبعض الدارسين والنقاد أن يطلق على فن الحكايات التي ترد على ألسنة الطير والحيوان اسم الخرافة مثلما فعل لافنتين. الخرافة في اللغة هي الكلام المكذوب الخارج عن الحقيقة والصدق، في حين أن الحكاية على لسان الحيوان هي حكاية ذات بعد خلقي وتعليمي في قالب أدبي خاص، تنحو منحى الرمز في معناه اللغوي. يوجد هذا النوع من الأدب شعرا ونثرا.

نشأ هذا الأدب بطريقة تلقائية فطرية في أدب الشعوب قبل أن تتطور المجتمعات. هي حكايات على ألسنة الحيوانات أو الطيور، عرفها الإنسان منذ قديم الزمان في بلاد الهند والإغريق وفارس والعرب أيضا، ثم انتقلت إلى أوروبا. مازال الأدباء والشعراء إلى يومنا هذا يستخدمون الحيوان في كتاباتهم لجاذبيتها، وإمتاعها للكبار والصغار على حد سواء، لقربها من خيال الصغار، في حين يستمتع بها الكبار فنيا.

2- سر جمال حكايات الحيوان:

تتميز الحكاية الخرافية أو الحكاية على لسان الحيوان بأنها حكاية قصيرة تأتي على لسان الحيوان. كتبت شعرا ونثرا بكلمات سهلة حول فكرة محددة ومباشرة. تحمل داخل معانيها القيم الأخلاقية والدينية، فهي أخلاقية بالدرجة الأولى، وهو

ما يميزها عن غيرها من القصص والحكايات. تضم كذلك الأمثال الشعبية، والحكم والمغامرات، لذلك عدّها كثيرون تعبيراً عن الأشخاص الذين يعيشون في منطقة ما، التي تتردد فيها تلك الحكايات التي تتضمن الأحداث العجيبة؛ حيث صراع الكائنات مع البراكين، ومع الأمطار والزلازل وغيرها، وكل القوى الخارقة للطبيعة. لذلك فهي مسلية ومثيرة للكبار والصغار. قدما كتبها الكتاب والشعراء من أجل أن يجعل الحيوان رمزاً لقيمة معينة، **فالتعلب مثلاً**: عرف بأنه رمز للدهاء والمكر، وهذه الحكايات هي التي وضعت له هذه الصفة، وكل العالم يعتبره كذلك. هذا موجود في كتاب "كليلة ودمنة".

3- حكايات كليلة ودمنة:

تعد هذه الحكايات من أشهر الحكايات التي انتشرت في العالم كله، كتب بعضها منها **بيدبا (هندي الأصل)** الذي وقف ينصح الملك **ديشليم** الظالم فسجنه، لكنه أفرج عنه بعد فترة من الزمن، طالباً منه أن يكتب كتاباً ينصح فيه الناس والحكام. فكتب بعض الحكايات على لسان الحيوان. انتشرت هذه الحكايات بين الناس وترجمت إلى لغات كثيرة. وقد ترجمها العربي **ابن المقفع** وزاد عليها حكايات أخرى. وأضاف إليها خصائص فنية جديدة لم تكن موجودة في الحكايات الهندية.

هو مجموعة من الحكايات تدور على ألسنة الحيوانات يحكيها الفيلسوف **بيدبا** للملك **ديشليم**، يث من خلالها آراءه السياسية بالحكم. المشهور أن **ابن المقفع** ترجم هذه الحكايات من الفارسية، إلا أنها هندية الأصل. لكن أبحاثاً حديثة كثيرة تقول أن بعضها من تأليف **ابن المقفع**.

كتاب **كليلة ودمنة** واحد من الكتب الأدبية المميزة، لما يحمله من موعظة في قصصه، ما يصلح لتهديب النفس بأسلوب شيق. كما أنه يتضمّن ملامح حضارات مختلفة مثل: **العربية، الفارسية، الهندية**، ما يجعله يناسب مختلف مستويات المتلقي. كما أن فيه جانباً من التسلية والترفيه، وكثير من النصائح والحكم، لأنه في الأساس يهدف إلى إصلاح الأخلاق وتهذيب العقول.

4- الهدف من الجمع بين السياسة والقصة على لسان الحيوان:

تعد القصة على لسان الحيوان سبيلاً مأموناً يسلكه حكماء السياسة، والقائمين على الإصلاح الاجتماعي والأخلاقي، حيث يتخذونه وسيلة للإفصاح عما في صدورهم من آراء وأفكار حول الحكم السياسي السائد، لذلك اعتمدت الحكايات على لسان الحيوان على الرمز من أجل التفتن إلى المغزى الخفي من تلك الحكايات هذا من جانب.

ومن جانب آخر يتمثل في أن الحكمة على لسان الحيوان أدعى للقبول والإقناع، أكثر من تلقيها على لسان الإنسان الذي قد لا يقبل النصح في غالب الأحيان؛ لأنه قد يراها من باب الاستعلاء.

خلاصة القول: كتاب كليلة ودمنة كتاب يؤسس في النثر العربي طابع القصة المنفصلة والمتصلة، فلا يؤدي تراكم القصص المتتالية إلى عدم وجو ترابط بينها. المحور الأساسي لها هو الملك ديشليم والفيلسوف بيدبا الذي يفسر سبب وجود هذه الحكايات.

كما أن الجانب الترميزي يجعل علاقة وطيدة ضمنيا بين قصص هذه الحيوانات وما يحدث بين البشر. تحكم هذه الحكايات قصة رئيسية تضم حكايات متداخلة مترابطة مع بعضها البعض؛ حيث أن الحكايات الصغيرة تعود إلى الحكايات الأكبر والأوسع. تبدأ المادة الحكائية بحوار أساسي، يليه خطاب وعظ ونصح أخلاقي، يأتي بعضه بسرد لبعض المشاهد القصصية المجسدة لذلك الوعظ والنصح.

في كتاب كليلة ودمنة عالم كامل من الحيوانات والطيور، تتكلم وتتخاطب فيما بينها، بعيدا عن عالم الإنسان الذي هو عالم وعارف بلغة هذه الحيوانات. ويسعى إلى فهمها وفك رموزها. كما يتعلم من حديثها أيضا الحكمة والموعظة.

الدرس: 7

المقامات

المقامة فن أدبي نثري، يقدم بأسلوب قصصي، يتخذ الحوار وسيلة تعليمية واجتماعية ونفسية. تعددت دلالات

كلمة "مقامة" بحسب مجال استعمالها.

1- تعريف المقامة:

أ/ لغة: يحيل الجدر اللغوي لكلمة (مقامة) إلى معنى: المجلس والجماعة¹ من الناس، ف "المقامة بالضم: الإقامة، والمقامة بالفتح: المجلس والجماعة من الناس وقد جعلت (المقامة) بمعنى موضع القيام "فالمقام والمقامة شأنهما شأن المكان والمكانة، وكلاهما بمعنى الموضع"². "ومقامات الناس: مجالسهم، ومن انجاز المقامة: القوم يجتمعون في المجلس"³، كما " سميت الأحداث من الكلام مقامة، كأنها تذكر في مجلس واحد ".⁴ بذلك تجمع معاجم اللغة على أن كلمة (المقامة) تعني: الجمع والمجلس الذي يلتقي فيه الناس ويجتمعون.

ب/ اصطلاحاً: المقامة لون من الحكايات، أو السرد القصصي، يروى بأسلوب مُنمّق. وقد "تطور مدلوله حتى صار مصطلحاً خاصاً، يطلق على الحكاية، وأحياناً على أقصوصة لها أبطال معنويون، وخصائص أدبية ثابتة، ومقومات فنية معروفة"⁵. يعد بديع الزمان الهمذاني أول من أعطى لكلمة مقامة معناها الاصطلاحي بين الأدباء، الذي عكسته مقامته. فجميعها تصور أحداثاً تلقى في جماعات فهي أقرب لكلمة "حديث".

- وقد أصبحت كلمة مقامة في أواخر العصر الأموي وأوائل العصر العباسي دالة على الخطبة الدينية والموعظة الأخلاقية⁶.

2- نشأة المقامة وأصلها:

ارتبطت نشأة المقامة في الأدب العربي بالفساد الذي عرفته الحياة الأدبية والاجتماعية. فقد شهد النصف الثاني من القرن الرابع الهجري وما تلاه سيطرة البويهيين على مركز الخلافة في بغداد، والذي نتج عنه انقسام الدولة الإسلامية إلى دويلات متعددة. تقرب الشعراء والكتاب مادحين لحكامها طمعا في العطايا والهبات. تحوّل الأدب في تلك الفترة إلى وسيلة للكسب، فاتخذ بعض العامة وسيلة للتسوّل، منهم جماعة من بني ساسان كانت تستغل مقدرتها الأدبية في الاحتيال على الناس وابتزاز أموالهم بالحيلة والدهاء.

دارت المقامات حول موضوع الكدية*، الذي هو واحد من آثار الاضطراب الاجتماعي والسياسي الذي عرفته الأمة الإسلامية في ذلك الوقت. وقد واكبه اضطراب آخر في الحياة الأدبية، حيث عمد الأدباء إلى التنميق في الأسلوب والإكثار من المحسنات اللفظية والمعنوية/السجع، لإظهار تفوقهم على نظرائهم من الأدباء. ساهم هذا الاضطراب في نشأة فن المقامة التي جاءت لتعبر عن روح العصر، وشغف أدبائه بالزخرف اللفظي.

يرجع الفضل في إرساء دعائم فن المقامة إلى بديع الزمان الهمداني** الذي وصل إلينا من مقاماته اثنان وخمسون (52) مقامة، يدور موضوع أغلبها حول "الكدية"، أين يظهر أبو الفتح الإسكندري في صورة أديب شحاذ يتوسل ملكته اللغوية للاحتيال على الناس وسلبهم أموالهم.

وظف الهمداني الحوار القصصي الذي يمتد بين عيسى بن هشام (الراوي) في جميع المقامات، وأبي الفتح الإسكندري (بطل جميع المقامات). طغى السجع على مقامات الهمداني - وهي سمة غالبية في هذا العصر - إضافة شيوع الفكاهة فيها بذلك شكّلت هذه المقامات أساسا ولبنة لفن الاستفادة منه اللاحقون ونسجوا على منواله.

كان محمد القاسم بن علي بن محمد الحريري (ت516هـ) أكثر من نجح في اقتفاء أثر الهمداني في هذا الفن وأسهم في تطوير مدلول لفظة المقامة. مقرا بأولية الهمداني في هذا الفن قائلا: "قد جرى ببعض أندية الأدب الذي ركزت في هذا العصر ربحه وخبث مصابيح ذكر المقامات التي ابتدعها بديع الزمان وعلامة همدان، رحمه الله، وعزا إلى أبي الفتح الإسكندري نشأتها، وإلى عيسى بن هشام روايتها وكلاهما مجهول لا يعرف، ونكرة لا تتعرف فأشار من إشارته الحكم، وطاعته غنم، إلى أن أنشئ مقامات أتلو فيها تلو البديع، وإن لم يدرك الضالع شاو ضليع... هذا مع اعترافي بأن البديع رحمه الله سباق غايات وصاحب آيات، وإنّ المنتصدي بعده لإنشاء مقامة ولو أوتي بلاغة قدامة، لا يعترف إلا من فضالته، ولا يسري ذلك المسرى إلا بدلالته"¹. نالت مقامات الحريري شهرة كبيرة، تجاوزت ما نالته مقامات الهمداني؛ لما تضمنته من خصائص، إذ ترجمت إلى عدة لغات منها: الإنجليزية، الفرنسية، الألمانية.

بلغت مقامات الحريري 50 مقامة عارض بها مقامات الهمداني. وقد اختار لها راوي هو الحارث بن همام وبطل هو أبو زيد السروجي. "وقد كان أثر الحريري كبيرا فيمن جاء بعده، إذ حاكى مقاماته عدد من المقاميين كما تناول عدد كبير من الشراح هذه المقامات وخاصة في بلاد الأندلس والمغرب"². تقوم المقامة أساسا من الناحية الموضوعية على حكاية مغامرات يقوم بها بطل واحد، تنتهي إلى نجاحه في التحايل على الناس، وسلب نقودهم. يرافق هذا البطل راوٍ واحد يقوم بنقل أخبار البطل، عارضا لحيله ومغامراته، مسلطا الضوء أثناء ذلك على بعض المظاهر الاجتماعية، وما تعلق بالحياة الأدبية في هذا العصر.

* الكدية : التحايل وخذاع الناس.

3- موضوعات مقامات بديع الزمان الهمداني:

تناولت مقاماته موضوعات متعددة، تخدم في مجملها الهدف الذي ألفت لأجله، والمتمثل في تقديم صورة عن الواقع المعيش في تلك الفترة، منتقدا من خلالها نظام الحكم، مبديا سخطه على كل تلك الأوضاع "وقد ظهرت جماليات التشكيل من خلال قدرة الهمداني على تصوير أمكنة الحيلة وجيل المحتالين، لتنبية الناس من خطرهم للحدّ من انتشارهم، ولقد تنوّعت تلك الجماليات لترسم أبعاد ذلك المكان."³

من الموضوعات التي تضمنتها المقامات:

- 1- تقديم صورة عن المجتمع الذي عاش فيه الهمداني، وإظهار سلبياته وتناقضاته. وتصوير السلوك العام للإنسان في ذلك العصر.
- 2- كثرة الوعظ الديني، إذ كان تفشي الفقر آنذاك سببا في لجوء الناس إلى الدين، تقريبا من الله ليعينهم على التخلص من فساد حكامهم، وكذا في الوقوف في وجه أعدائهم. لعل هذا ما يفسر ميل كثير من الناس إلى التصوّف في ذلك العصر.
- 3- فضح أساليب المكدي، في الخداع والتحايل.
- 4- تصوير الفقر السائد في المجتمع.
- 5- السخرية من البدع والخرافات التي شاعت في المجتمع.
- 6- تناولت المقامات الأحكام الأدبية المتعلقة بالشعر والشعراء. كما تضمنت جانبا تعليميا (اللغة العربية مثلا).

حافظ "الحريري" على البنية السردية لمقامات الهمداني، فراويه هو "الحارث بن همام". وبطله "أبو زيد السروجي". كما كان موضوعها الأساس هو الكدية شأن الهمداني. بيد أن الحريري في مقاماته أدخل فيها الألغاز والأحاجي وهو ما لم يوجد عند الهمداني. ما جعل مقاماته تحاكي من المقاميين الذين جاءوا بعده. كانت الحواضر مسرحا لأغلب أحداث مقامات الحريري، فلا نجده يخرج للبادية إلا في واحدة أو إثنين منها. فإضافة إلى ما تميزت به من طول فاق مقامات الهمداني، فقد تميزت ببراء ألفاظها وكثرة المترادفات فيها. كما حضر القول الشعري من خلال ما يقصه "أبو زيد السروجي" من أخبار من خلال الشعر. تميزت لغته بالمتانة، وقصر الجمل. لم يسرف الحريري في استعمال البديع رغم عنايته بتنسيق الأسلوب.

منامات الوهراني

1- تعريف المنامات: هي فن نثري شبيه بالمقامة والرسالة. تفتح المنامة على موضوعات كثيرة. تمتاز بالفكاهة

والطرافة، وهي تشبيه الرسائل، كرسالة الغفران لأبي العلاء المعري.

لمنامات الوهراي* قيمة كبيرة، حيث اشتهر " المنام الكبير" أكثر من المنامات الأخرى، والذي تقفى فيه أثر "أبي العلاء المعري" في رسالة الغفران. كما امتاز بالطول حتى قال عنه ابن خلكان: "ولو لم يكن فيها إلا المنام الكبير لكفاه، فإنه أتى فيه بكل حلاوة."

جعل الوهراي من "مناماته" علامة دالة على الأنساق الثقافية لعصره، متخدا المنام وسيلة لانتقاد طرق الصوفية وسلوكات بعض أصحابها .

جمع الوهراي في " المنام" أنواعا من الأدب ، فتخيّل أنه رأي في المنام كأنه القيامة قد قامت، ومناديها ينادي "هلموا إلى العرض الكبير" فخرج من قبره حتى بلغ أرض المحشر، فوجد بها كثيرين ممن يعرفهم. فسخر منهم جميعا ذاكرا ما حوسبوا به.

عمد الوهراي إلى توظيف الحوار والسرد القصصي، لنقد الأوضاع الاجتماعية التي كانت سائدة في عصره، موظفا السخرية والتهكم في نقده. اختلف حجم المادة المسرودة في المنامات /المنام الكبير من مشهد إلى آخر، تبعا لأهمية الأحداث وفاعلية الشخصيات. فيقصر حيناً ويطول آخر، تبعا لما تفرضه تفاصيل الأحداث. وقد أمعن الوهراي في نقده الساخر بطريقة محكمة .

يبدأ المنام بمقدمة ساخرة في العتاب والاستفزاز لشيخه الحافظ العليمي. يردفه بسرد " لمجموعة من المشاهد المتتالية المتصلة، والمواقف الغريبة يراها في منامه، تجري أحداثها يوم الحشر على غرار رسالة الغفران لكن بأسلوب بسيط واضح... وينتهي المنام بحركة صاخبة تفزعه وتوقظه من النوم. وبهذه الحركة يوقف الوهراي حركة السرد. ثم يختتم "المنام" باعتذار لطيف للمكتوب إليه على طريقة كتابة الرسائل للمتمرسين أيضا¹. استفاد الوهراي من التطور الذي شهدته المقامة، فعمل على النهوض بالإمكانات التخيلية لنص "المنامات" في طابع سياسي ساخر. وبذلك شكلت المنامات "طابعا مخالفا للرسالة".

* هو عبد الله محمد بن محرز بن محمد الوهراي الملقب بركن الدين ولد بوهران بالجزائر (575-1179)، وبها تتلمذ برع في الأدب ، كما اشتهر بالفكاهة والسخرية زار دمشق أيام نور الدين محمود بن زكي ، ثم زار صقلية و مصر و بغداد ليستقر بعدها في دمشق. ترك الوهراي نصوصا نثرية في صورة منامات ومقامات ورسائل وخطب جمعها كتابه "جليس كل ظرف" والذي حققه إبراهيم شعلان ومحمد نغش تحت عنوان منامات الوهراي ومقاماته ورسائله و الصادر عند دار الكتاب العربي بالقاهرة سنة 1968 هـ.

ارتبط الحوار بالسرد القصصي في المنامات/المنام الكبير مشكلا "إحدى نتائج الإبداع الساخرة الذي يعتمد على الحوار فيجبر على استعمال الربط بين أجزائه"¹. كان افتعال الوهراني للأحداث الأخروية وسيلة للتهرب من المساءلة والعقاب من أصحاب السلطة والمقام الرفيع ممن تعرضوا للنقد. زواج الوهراني في مناماته بين مستويين لغويين لتقريب النص من القارئ فكان هذا "التوليف بين الوحدات المعجمية الفصحى والعامية، إستراتيجية ينطلق منها الكاتب للتعهد بين الجدي والهزلي".²

2- خصائص منامات الوهراني :

- لعل من أبرز خصائص هذه المنامات توظيف كاتبها لأسلوب السخرية، التي استعملها لنقد أوضاع المجتمع سواء أكانت سياسية، أو دينية، أو أدبية... لذلك فإن:
- انتماء أدب الوهراني إلى النثر الهزلي يجعله أدبا وظيفيا ذو مقاصد تعليمية ودينية وأخلاقية. جاءت مناماته صرخة احتجاج على الفساد السائد آنذاك.
 - اعتماد الوهراني على الموروث الثقافي الأدبي، فحضرت رسالة الغفران، ومقامات الهمذاني ورسائل الجاحظ، حضورا مميزا.
 - الأحداث السردية في المنام صيغت على هيئة رؤيا في عالم الأحلام، لتتجاوز المنطقي والواقعي .
 - تبوأ النص الديني مكانة متميزة في المنامات.
 - سيطرة الإخبار السردية في المنام، لأن الكاتب بصدد إعطاء صورة عن معطيات الواقع الذي آلت إليه الأمة العربية آنذاك، وبالذات ما تعلق بأمور الدين، وسوء التسيير.
 - لم يعط الوهراني تفاصيل كثيفة عن مكان الحدث وهو "يوم القيامة"، مكتفيا بالخلفية الدينية للذاكرة الجماعية. لذلك يمكن القول إن المكان لم يشغل حيزا كبيرا عند الوهراني كما هو الحال عند المقاميين السابقين. حرص الوهراني على عدم تحديد الزمن وإخفاء أي نقطة توصل إليه متواريا خلف الأحلام.

الرسائل الديوانية والإخوانية في المغرب والأندلس

شغل فن الرسالة حيزا مهما في الفنون النثرية العربية، ليشكل جنسا أدبيا قائما بذاته تندرج تحته عدة أنواع.

1- مفهوم الرسالة:

أ- لغة: جاء في لسان العرب " رسل الرسل القطيع من كل شيء والجمع إرسال. والرسل: الإبل... وقد قال رسل رسلا ورسالة، وشعر رسل: مسترسل، واسترسل الشعر أي صار بسطا...الإرسال: التوجيه وقد أرسل إليه. والاسم الرسالة والراسلة والرسول والرسل... والرسول بمعنى الرسالة يذكر ويؤنث فمن أنث جمعه أرسلا... وتراسل القوم: أرسل بعضهم إلى بعض... وسمي الرسول رسولا لأنه ذو رسول أي ذو رسالة."¹ وجاء في المعجم الوسيط: " أرسل الشيء: أطلقه وأهمله ويقال: أرسل الكلام: أطلقه من غير قيد والرسول بعثته برسالة."²، يقودنا المعنى اللغوي إلى معنى الإطلاق وبعث الشيء.

ب- اصطلاحا: ذهب ابن خلدون إلى تحديد مفهوم الرسالة بأنها: "تعني المخاطبات لمن بعد عن السلطان، وتنفيذ الأوامر فيمن حجب عنه."³، فإذا كان ابن خلدون قد ركز على الرسائل السياسية التي يتبادلها الملوك والخلفاء فإن للقلقشندي تعريف آخر مفاده: " إن المراد بكتابة الإنشاء، كلما رجع إلى صناعة الكتابة وإلى تأليف الكلام وترتيب المعاني من المكاتبات والولايات والمسامحات والإطلاقات ومناشير الاقطاعات، والهدن والأمانات والإيمان، وما في معنى ذلك"⁴، أكد القلقشندي على أنها الرسائل هي صناعة لها قواعدها مميّزا بين أنواع الرسائل.

لذلك تتعدد الرسائل وفقا للمرسل إليه وللغاية التي سُطرت لأجلها لذلك فالرسالة على اختلافها "هي كل ما يرسل من شخص إلى آخر مشافهة أو كتابة في موضوع من الموضوعات العامة أو الخاصة وفقا لهوية المرسل إليه، وطبيعة العلاقة بينهما."⁵

2- نشأة فن الرسائل:

الرسالة من الفنون النثرية التي ارتبطت بدايتها بالعصر الجاهلي. ولما كان ارتباط الرسائل بالكتابة وثيق، فإن هذه الأخيرة لم يكن يحسنها إلا قليلون. لذلك فإن الرسائل المدونة التي تنسب إلى هذا العصر قليلة جدا، يغلب عليها الإيجاز والتركيز.

من ذلك رسالة قصي بن كلاب إلى أخيه رزاح بن ربيعة العذاري يطلب فيها أن ينصره في زعامته لمكة. إضافة إلى رسالة قيصر الروم إلى امرئ القيس وقد حملت معها حلة مسمومة. والتي تضمنت قوله: "إني بعثت إليك بجليتي التي كنت ألبسها يوم الزينة ليعرف فضل منزلتك عندي، فإذا وصلت إليك فالبسها على اليُمن والبركة".¹

لما جاء الإسلام تأثر فن الرسائل بمعني القرآن وأسلوبه. ولعل أهم تلك الرسائل هي التي وجهها النبي -ص- إلى ملوك العالم يدعوهم فيها إلى الإسلام، وهو موضوع أغلب الرسائل في تلك الفترة.

من نماذج رسائل هذا العصر تلك الرسالة التي وجهها النبي -ص- إلى النجاشي يقول فيها: "سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولم يتخذ صاحبة ولا ولدا وإن محمدا عبده ورسوله. وأدعوك بدعاية الله فإني أنا رسول الله"². دارت مجمل الرسائل في صدر الإسلام حول الدعوة، وبعضها لأغراض تعليمية. كان فن الرسالة في صدر الإسلام صورة للحياة بمختلف جوانبها السياسية، الاجتماعية والعقائدية. فطبعت بسمة الترهيب والترغيب لنشر الدعوة. كما ظهر تأثرها بالأسلوب القرآني، إضافة إلى الإيجاز والوضوح. وقد حث النبي -ص- على التعلم، متخذًا كتابا للرسائل التي يبعث بها إلى الملوك ورؤساء القبائل. سار الخلفاء الراشدون على نهجه في الحث على تعلم القراءة والكتابة، كما اتخذوا كتابا يكتبون إلى الولاة وقادة الجيوش.

أما في العصر الأموي فقد عرف فن الرسائل تطورا كبيرا، فقد أصبح يجيدها العديد من الكتاب. كما أنشئ لها الدواوين منها: ديوان الرسائل الذي أنشأ معاوية بن أبي سفيان، ديوان الخاتم الذي يتم فيه ختم الرسائل، وقد برزت عدة أسماء في هذا العصر منها: زياد بن أبيه، عبد الحميد الكاتب، معاوية بن أبي سفيان.

شهد عصر بني العباس احتكاكا بالثقافات الأخرى، الهندية واليونانية، فساهم هذا الاحتكاك في الارتقاء بهذا الفن، فتنوعت الرسائل تبعا لتعدد الدواوين فكان ديوان الخراج، ديوان النفقات، ديوان الرسائل... إذ "كان الكاتب في دواوين الدولة إذا أظهر نبوغا ارتقى سريعا وما زال يرتقي حتى يصبح رئيسا لمجموعة من الدواوين، كإبراهيم بن المدبر ومحمد بن عبد الله بن أبي طاهر. وكانت الدواوين كثيرة ومن ذلك دواوين سامراء، وهي أشبه بمدرسة فنية كبيرة."¹ فظهر نتيجة التنافس بين الكتاب، طبقة من الكتاب المحترفين، ممن امتلكوا مقدرة أدبية مميزة "وإن أول كاتب يلقانا في هذا العصر هو إبراهيم بن العباس الصولي الذي حرر أكثر ما صدر عن المتوكل من منشورات وكتب ورسائل في الفتوح، ومن الكتاب نذكر عبد الهف بن يحيى بن خاقان والذي احتفظ له الطبري برسالة كتبها إلى محمد بن عبد الله بن طاهر حاكم بغداد يأمره بضرب رجل ألف سوط كما صح من شهادات شهود كثيرين عليه. والرسالة لا تخلو من السجع ومحاولة الترميق"².

الرسائل الإخوانية:

الرسائل الإخوانية لون من الرسائل المتبادلة بين الإخوان، تتمحور هذه الرسائل حول العلاقات الاجتماعية والمشاعر الخاصة منها: "الرغبة والمديح، والهجاء والتهاني، والعتاب والاعتذار، والاستعطاف والتعزية. وبذلك نافست الشعر في مجالاته".¹ وقد ساعدت سهولة النثر على انتشار هذا اللون من الرسائل إضافة إلى ظهور فئة من الكتاب الذين اشتهروا بالتجويد. تعددت موضوعاتها بحسب المشاعر المعبر عنها ومنها:

1- رسائل التهنية: تبادلها الأصدقاء والأقارب في مختلف المناسبات. فهذه رسالة لابن المقفع أرسلها إلى صديقه يهنئه بمولودة له، يقول فيها: "بارك الله لكم في الابنة المستفادة، وجعلها لكم زينا، وأجرى لكم بها الخير، فلا تكرهها، فإنهن الأمهات والأخوات والعمات والخالات، ومنهن الباقيات الصالحات. ورب غلام ساء أهله بعد مسرتهم، ورب جارية فرحت أهلها بعد مساءتهم".²، فالملاحظ على لغة هذه الرسالة البساطة واللين في العبارات، دون أي تكلف.

2- رسالة التعزية: يدور موضوعها حول التذكير بفائدة الصبر على المصائب. من أمثلتها رسالة قصيرة للجاحظ يقول فيها: "أما بعد، فإن الصبر يعقبه الأجر، والجزع يعقبه الهلع، فتمسك بحظك من الصبر تنل به الذي تطلب وتدرك به الذي تأمل".³

3- رسالة العتاب: يتوسلها الكتاب لإزالة الجفاء بين الأصدقاء، ومن أمثلة هذا اللون رسالة خطها ابن الرومي إلى صديق نسيه في هدية قائلا: "وبلغني أدام الله عزك أن سحابة من سحائب تفضلك أمطرت منذ أيام مطرا عم إخوانك بهدايا مشتملة على حسن وطيب، فأنكرت على عدلك وفضلك وخروجي منها مع دخولي في جملة من يعتدك ويعتقدك وينحوك ويعتمدك، وسبق إلى قلبي من ألم سوء الظن برأيك أضعاف ما سبق إليه من الألم بفوت الحظ من لطفك، فرأيت مداواة قلبي من ظنه، وقلبك من سهوه، واستبقاء الود بيننا بالعتب الذي يقول فيه القائل: "ويبقى الود ما بقي العتاب". وفيما عاتبته كفاية عند من له أذنك الواعية، وعينك الراجعة".⁴

من سمات رسائل العتاب في البدايات الإيجاز أو التوسط، ليجنح الكتاب إلى الإطالة، والاستشهاد بالشعر منذ بداية القرن الرابع الهجري.

"لقد كثرت الرسائل الإخوانية في العهد العباسي كثرة مفرطة، وكثر أعلامها من أمثال ابن المقفع والجاحظ والصابي والخوارزمي وبيديع الزمان الهمداني وقد طبع كثير منهم. وكان بعضهم يطيل في رسائله الإخوانية وبخاصة أبو العلاء المعري دون الإخلال بمستواها الفني".¹

تعد رسالة أبي العلاء التي أرسلها إلى نصر صدقة بن يوسف الفلاحي نموذجاً لذلك، وهذا جزء منها: "ما حمامة ذات طوق، يضرب بها المثل في الشوق، كانت في وكر مصون، بين الشجر والغصون. تألف من أبناء جنسها ريدا، فيتراسلان تغريدا، مسكنها نعمان الأراك، تأمن به غوائل الأشراك، وتمر في بكرتها بالبيت الحرام، لا تفرق لمكان صائد ولا رام، فغرما القدر، عن لم ينفع الحذر، فخرجت من الأرض المحرمة، فأصبحت وهي جد مغرمة، صاها وليد في الحل، ما حفظ لها من إل، فأودعها سجنا للطير، ومنعها من كل مير. فإذا رأيت من خصائص القفص بواكر الحمام، ظلت تمارس جرع الحمام، تسأل بطرفها أهاها، ما فعل بعدها فرخاها؟ فيقول أصبحا ضائعين، قد سترهما الورق من كل عين."² فهذه الرسالة رغم طولها فإنها جاءت متجانسة متقنة البناء.

- في الأندلس:

1- الرسائل الديوانية: لا يكاد الدارس للأدب الأندلسي يعثر على رسائل كثيرة في بداية هذا العصر (عصر الولاة)، ومن الرسائل التي حفظتها لنا كتب الأدب "رسالة كتبها عبد العزيز لتدمر أحد حكام الإسبان؛ حيث ضمن رسالته بعض الشروط التي تحفظ للنصارى حقوقهم، وتقيدهم بواجباتهم نحو المسلمين بعد زوال أمرهم."³ وأيضا "رسالة كتبها يوسف الفهري إلى عبد الرحمان الداخل لما أتباعه."⁴

لم يعرف فن الرسائل تطورا كبيرا في عهد الإمارة، فقليلة هي تلك الرسائل التي وصلت إلينا منه. ومن نماذجها "رسالة أمية بن زيد إلى بعض العمال والتي كتبها بطلب من عبد الرحمان الداخل."⁵ وقد طغى على موضوعات الرسائل في هذه الفترة موضوع الشكاوى، إضافة إلى اتسامه بالسجع والتكلف والزخرف اللفظي. ومن ذلك "رسالة كتبها عبد الرحمان الداخل مجيبا على رجل يشكو إليه فقره."⁶

1- عهد الخلافة: شهدت الرسائل في عهد الخلافة (366 هـ إلى أواخر القرن 4 هـ) تنوعا كبيرا تبعا لتطور الفنون

الثرية الأخرى. فظهرت رسائل التبليغ ووصايا الاستخلاف وبعض المناشير التي يكتبها القادة. كما ظهرت رسائل التوظيف في المناصب السامية...

وأبرز مثال على رسائل هذا العصر تلك الرسالة التي وجهها المنصور بن أبي عامر يخاطب فيها جنوده عند فرارهم أمام النصارى قائلا: "وكثيرا ما فرط من قولكم، وسبق من عزمكم، أنكم تجهلون قتال المعادل والحصون وتشتاقون ملاقاتة الرجال على العلوج، فحين جاءكم شانجة بالأمانة، وقاتلكم بالشريطة وظهرت لكم ركلة الطائفة النصرانية أنكروتم ما عرفتم، ونفرتم مما ألفتكم حتى فررتم فرار اليعاقير من أساد الغيل وأجفلتم إجمال الرئال عن المقتنصين فألحقتهم العار بأنفسكم بعد اختيار لكم، وطرقهم الشر على أعناقكم، وضيعتم حرمتكم، وأخطرتم ذمتكم

فلا نعمتي رعيتي، ولا تزييني حفظتم، ولا وجوهكم أبقيتم ولا غضب الله ورسوله اتقيتم... ففيم ولما كان انخيازكم أشكا في وعد ربكم؟ أو خورا في أصل طبعكم أم عجزا عن دفع باطلهم بحقكم؟... ما كان إلا لسفه أحلامكم وسوء نظرهم في عاقبة أموركم، يا أحلام الأطفال وأخلاق الرجال.¹ عكست هذه الرسالة غضب المنصور من جهة وتطور هذا الفن من جهة أخرى.

تنوعت موضوعات الرسائل في الأندلس سواء السياسية منها أو حتى الإخوانية؛ حيث تأسست قواعد الكتابة في الأندلس والتي كانت أكثر وضوحا في الرسائل السياسية. خاصة في عهد يوسف بن تاشفين (رسائل ديوانية سياسية). وإذا كانت الرسائل الديوانية تبدأ بالدعاء لذوي السلطان، فإن الإخوانية تبدأ بمقدمة قصيرة يقوم فيها المرسل بخلع الألقاب على مخاطبيهم.

ب- الرسائل الإخوانية: الرسائل الإخوانية هي كل "مما يكتب به الرئيس إلى المرؤوس والمرؤوس إلى الرئيس، والنظير إلى النظير"²؛ حيث تتضمن أغراض مختلفة وفق أهداف خاصة، يتحرر فيها الكاتب من القيود الرسمية أو الأهداف السياسية والإدارية، فالرسائل الإخوانية "تصور عواطف الأفراد ومشاعرهم من رغبة ورهبة، ومن مديح وهجاء، ومن عتاب، واعتذار، واستعطاف، ومن تهنئة، واستمناخ ورتاء أو تعزية."³ وتعرف أيضا بأنها: "ضرب من الرسائل الذاتية المتبادلة بين الإخوان، ومن هنا سميت بالرسائل الإخوانية، أو الإخوانيات."⁴

شغلت الرسائل الإخوانية مساحة واسعة من النثر الأندلسي، وقد دارت حول موضوعات تتصل بالصدقة، كالمودة والإيحاء والتهادي والتعاب والاعتذار "كما تتناول قضايا الكاتب وإخوانه، بعضها يتعلق بصناعة الأدب والكتابة، وبعضها الآخر يتصل بأمور اجتماعية شخصية."¹ وقد برعت عدة أسماء في هذا الفن منهم عبد الله بن أبي الخصال، أبي شهيد وابن طاهر وغيرهم، ومن نماذج هذا اللون رسالة لابن أبي الخصال طبعها شيء من الضحك والتهمك يقول فيها: "وإني مررت على بلدي فأهوى جلدي وأرهقني صعودا، وأخلقني قياما وقعودا، فقد كانت الأخبار ترامت إليهم، ونعني حقا لديهم، فكلهم ناضر متوسم وباك متبسم، إذا توهم الخطر استعبر، وإذا عاين السلامة ضحك واستبشر... وخلو من أهم خلوهم من الفطن واحتقرتهم الخطوب، وعنوا عن وقائع الزمن ونزلوا الحضيض بدلا من الفتن، وحاش أن تكون لهم مخطأ، أو تجد لهم الأحداث خطأ."² أراد ابن الخصال أن يُذكر قومه بمقامه بينهم من خلال هذه الرسالة. فاستعمل مجموعة من الصور البيانية، كما وظف فيها الاقتباس والتضمين.